من العنف الإجتماعي إلى ممارسة العنف التربوي مع دراسة للوظيفة العلاجية للفن

رمضان محمد، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية – تلمسان

ملخص:

تعد الثقافة عاملا هاما يؤثر في شكل وتوقيت العنف، ويمكن الإستدلال على هذه الخاصية تتبع التعابير الشفوية الشعبية ومنها المثل ...وتعكس التربية واقعا ثقافيا ينطلق من قيم القمع وتجسد إكراهات العنف الإجتماعي.

إن الفعل التربوي بطابع العام، فعل منتج ثقافيا وإجتماعيا من جهة ويعيد إنتاج ما هو إجتماعي وثقافي من جهة أخرى، ويتأسس على ذلك ممارسة العنف وإعادة إنتاجه تربويا ...وكثيرا ما تعكس المؤسسات التربوية حالات العنف وآثاره، فلا عجب أن تكون هذه المؤسسات مولعة بحالات التحدي ومواجهة السلوك العنيف ...ومن هنا تبدو أهمية الحديث عن العلاج بالفن.

1 . مقدمة:

يرتسم جدل العنف في عمق النقاش الدائر حول التغيرات العنيفة التي تحدث، مخلفة في كل يوم مشكلات إنسانية معقدة، ويبدو أن هذا الوضع المأساوي أضحى قدرا محتوما على حضارة العصر، بدرجة أن العنف تطور تطورا مذهلا، وتعاظمت أبعاده في كل مناحي الوجود: من لقمة العيش، والأمراض المستعصية. الفتاكة، والتلوث البيئي، وجشع الإنسان (الراع والرعية) إلى آخر المكتسبات التقنية والاجتماعية والعلمية التي أتاح التقدم المتواصل للفكر تحقيقها.

وكثيرا ما يعاب على المؤسسات التربوية أنها احتضنت العنف الاجتماعي وأعادت تأهيله وإنتاجه تربويا، ومع ذلك فلا عجب أن تكون هذه المؤسسات مولعة بحالات التحدي ومواجهة العنف، ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن المؤسسات المتخصصة في علاج العنف بالفن.

أولا: في مفهوم العنف

لا يمكن لأي باحث أن يقع على مفهوم جامع مانع للعنف، خاصة وأن الظاهرة تطورت تطورا مذهلا، و لم نعد نتكلم عن العنف الجسدي أو العنف النفسي، بل هناك، العنف الرمزي، العنف الاجتماعي، العنف الثقافي، العنف الاقتصادي، العنف السياسي، العنف التربوي، العنف القيمي، العنف الأخلاقي، العنف الديني، عنف العار، العنف الخبيث، العنف الجبان، العنف الخفي، العنف الذكي...إلخ.

أ.العنف في اللغة:

جاء في لسان العرب لإبن منظور أن :العنف: عنف – هو الإسم من العنف، وهو الشدة والقوة، وهو الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق، أعنف الشيء أي أخذه بشدة. وجاء في المعجم الوسيط: (عُنف) به، وعليه – عنفا وعنافة: أخذه بشدة وقسوة، ولامهُ وعيَّرَه. المعجم الوسيط (1972).

ويعرف (جميل صليبا) في معجمه الفلسفي " العنف كفعل مضار للرفق، ومرادف للشدة والقسوة، والعنيف (violent) هو المتصف بالعنف. فكل فعل يخالف طبيعة الشيء، ويكون مفروضا عليه، بصورة ما، فعل عنيف، والعنيف هو أيضا القوي الذي تشتد صورته بإزدياد الموانع التي تعترض سبيله كالريح العاصفة، والثورة الجارفة "جميل صليبا، (1994).

وتفيد كلمة عنف violence الإفراط في إستخدام القوة من أجل قهر للآخر والهيمنة عليه، وهي توظف بمعنى قوة شديدة من أجل الإخضاع والسيطرة. ومن هذا المصدر الإشتقاقي ولد فعل العنف الذي يرمز إلى إستخدام الشدة ضد الآخر وإلحاق الأذى به. علي أسعد وطفة، (2009).

في هذا السياق يورد (تشارلز ريفيرا) و(كينيث سويتزر) تعريفا للعنف مفاده: "الإستخدام غير العادل للقوة من قبل الأفراد لإلحاق الأذى بالآخرين والمساس بممتلكاتهم". حسن توفيق ابراهيم، (1992). يلاحظ أن جل التعريفات تركز على الإستخدام غير المشروع والمفرط للقوة لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين.

ب. أنثروبولوجيا العنف

1 . العنف سلوك إنساني وفعل ثقافة

لا شك أن الإنسان كغيره من المخلوقات تحركه الفطرة والغريزة وسطوة الهواجس، ولذلك كان الأمر طبيعيا، حين مارس هذا الإنسان العنف، قديما، لا للتدمير والتخريب، ولكن لأجل تأمين وجوده وحياته. ويرى عالم النفس (فرويد) أن هناك نزعة داخلية تتحكم بالإنسان هي " الغريزة الحيوانية "، وهذه النزعة تخفى بين ثناياها قسط وافر من العنف العدواني، وهي تهدد بإستمرار المجتمع المتحضر بالزوال. حليم بركات، (2001).

والواقع، أنه إذا كان هناك دور للفطرة في تحريك الإستعداد النفسي لدى الإنسان لممارسة العنف، فإن هذا الإستعداد يبرز بصورة فعلية ملموسة من خلال العلاقات الإجتماعية..و من هنا إبتعد العنف عن الفطرة، وأصبح ينظر إليه على أنه نمط من أنماط الثقافة، أو بالأحرى " فعل ثقافة ". حسن إبراهيم أحمد، (2009).

وقد عرفت (باربارا ويتمر) العنف بأنه: " خطاب أو فعل مؤذ أو مدمر يقوم به فرد أو جماعة ضد أخرى. " باربارا ويتمر، (2007) فالعنف تتحدد صفته الإجتماعية بأنه خطاب أو فعل، يتوجه إلى الذات وإلى الآخر، وينشأ من علاقة الناس ببعضهم، وهو في النهاية فعل ثقافي، أو بالأحرى ثقافة، وهو ما ذهب إليه الأستاذ حسن إبراهيم أحمد بقوله :" أن العنف سلوك موجه ضد آخر لغرض وتنتج عنه أذية مادية أو معنوية ". حسن إبراهيم، (2009).

وفي هذا السياق يقول المفكر الفرنسي Paul ricoeur: " إن العنف يتجه في مساره بوضوح أو بغموض، بصورة مباشرة أو غير مباشر، إلى السيطرة على الآخر والهيمنة على مقدورات وجوده " .بول، (1955)، Paul. R.

فالعنف وفقا لهذه التصورات، يرتبط بهدف وتستخدم فيه القوة التي توظف أحيانا في أبشع صورها والمتتبع للأحداث في العصر الحديث يلاحظ إفراطا غير مسبوق في إستخدام القوة لممارسة العنف. فالذاكرة الإنسانية أضحت مشحونة بالهواجس والكراهية والحقد والضغينة، وأصبح الإنسان يبحث عن الأساليب التي يقهر بها الآخر بكل بشاعة وتدمير وفظاظة، والرغبة في إسكات الآخر وإقصاءه وإزالته نهائيا من الطريق، أنماط ثقافية هيمنت على العلاقات الإجتماعية، ومن هنا تعددت أشكال العنف وأنماطه التي تبدأ بالإهانة والإذلال والتعبير والتشهير والتهديد لتصل إلى التصفية الجسدية ...وهذا أمر فضيع وممقوت لأنه تدمير للبشرية، وقد تحدث (هوبز) عن الإنسان الذئب على أخيه الإنسان.

فالعنف الإنساني أضحى عنف علاقات التحكم والهيمنة، وهي علاقات توجهها المصالح الذاتية وتغذيها العقائد المتطرفة. إنه لمن المؤسف أن نقول بأن الهوية المعاصرة في مجال العلاقات الإجتماعية أصبحت تتلخص في المعادلة التالية: المال – المنصب – المصلحة. فالإنسان المعاصر وقع في قبضة المادة، وأصبح يعيش حالة "تشيؤ"، فاستؤصلت منه شخصيته، وأضحت مجمل علاقاته لا تخرج عن إطار هذه المعادلة. ولذلك اضطربت طبائع الناس، وأصبح العنف المتسارع والمتلاحق سمة أساسية من سمات العصر، أن لم تكن أبرز ملامحه على الإطلاق، والإنسان في الوقت الحاضر يعيش في دوامة هذا العنف، الذي يكون له فعل الصدمة الكهربائية على شخصيته. هذا ما أكده " إيريك فروم "بقوله:" أن الإنسان المعاصر عاجز عن تقدير الحياة، ومن ثم فهو مستعبد، يميل إلى تحطيم كل شيء "إيرك .ف (1960).

2 . الفن الشعبي الشفاهي يؤسس للعنف

تختلف مصادر العنف ودوافعه بإختلاف المواقف والخلفيات الفكرية والإجتماعية

والثقافية والسياسية وغير ذلك. وتمثل المأثورات الشعبية أبرز المصادر التي عبرت عن العنف تعبيرا متميزا. فالأسطورة كنمط ثقافي عريق، إحتوت على عنف واضح ساد لدى الشعوب القديمة: أساطير بلاد الرافدين وملاحمها مثل، جلجا مش وحكاية الخلق (الإينوما إيبلش) وغيرها، وأساطير سوريا القديمة مثل حكايات البعل ومقتل أودون، وأساطير مصر مثل حكاية إيزيس وأوزيريس، وغير ذلك مما ظهر بعد عشرات القرون ...تراث شفوي قديم يبرز الأدلة على إنتشار العنف في المجتمعات، ويجعله أحد المواضيع المفضلة للفنان القديم، والتي يعبر فيها عن وجوده، ويفصح من خلالها عن مشاعره وقدراته الفنية، وروح الجماعة التي يتفاعل معها. حسن إبراهيم (2009).

وتعتبر الرواية من أهم الأطر الفنية التي يمكنها إبراز ظاهرة العنف بشكل دقيق ومعبر وقد عالج (د.حليم بركات) ظاهرة الإغتراب بإعتبارها نمطا من أنماط العنف، وبحث إنعكاساتها في الرواية، متطرقا إلى أنواع ثلاثة يظهرها هذا اللون الأدبي في مواجهة الإغتراب، هي: رواية الخضوع التي تصور مناعة الفرد أمام عوامل الإغتراب، ورواية اللامواجهة، وهي عدم الفاعلية في التحلل من آثار الصدمات، وأخير موقف التمرد والمجابهة والتغيير الثوري، حليم بركات، (2006) .

والتراث الثقافي الجزائري يحتوي العديد من الفنون الشعبية التي تحمل دلالات واضحة للعنف، ومنها الأمثال الشعبية.

ومما ورد في الأمثال الشعبية التي لها علاقة بالعنف الإجتماعي بين الرجال، يمكن ذكر:

أصل العداوة المزاح: الصداقة المبنية على المصالح تتخللها صفات النميمة والمكر والخداع، وتنتهي بالعداوة ولو بأسلوب مزاح، وقد قال المتنبي:

يخفى العداوة وهي غير خفية نظر العدو بما أسر يبوح

اصْطَحْبَتْ الكلاب على عراقيب الساسى

وينطبق هذا المثل على الأشخاص الذين يتدبرون الفرص والحيل لنشر الرعب في أوساط الأشخاص المسالمين وترهيبهم

أولاد مسعود يَشْوُوا الدهان على العود

من المستحيل شواء الزبدة على العود ...و لكن نظرا لقساوة قلوب هؤلاء القوم، والمكائد التي يدبرونها لإلحاق الأذى بالغير، قيل فيهم هذا المثل

يقتلوا الميت ويمشوا في جنازته

ويشمل المنافقين الذين يتظاهرون بالطيبة، إلا أنهم يتربصون بأعدائهم والنيل الميل، فيسلطون عليهم أبشع صور العنف ثم يحضرون للمشاركة في مراسيم التعزية

الجهد يعلم العباز

أي سبل الإنحراف المفضى إلى ممارسة العنف

العدو ما يولو صديق، والنخالة ما تولي دقيق

يضرب في الشخص الذي يضمر العداوة للغير في قلبه، ولا تؤتمن معاشرته

وما تجدر الإشارة إليه أن مصدر العنف قد يكون في الثقافة الشعبية، وهذه الثقافة تنفذ إلى ذاتية الكيان وبنية التفكير، فتثوارثها الأجيال. وما يورث مقدس، ومن الصعب التخلي عنه، خاصة إذا تعلق هذا الموروث ببعض النزاعات والأحقاد التي تكرس صورة العدو المتربص عبد الله ابراهيم، (2001).

ثانيا: العنف التربوي

تتعدد المفاهيم التي تشير إلى استخدام القوة في التربية، منها على سبيل المثال: العنف التربوي، التسلط التربوي، الاضطهاد التربوي، القمع التربوي، القهر التربوي، الإكراه التربوي ...إلخ، وكل هذه المفاهيم تفيد: الشدة، الإيذاء، القوة.

وفي كل الأحوال فإن العنف التربوي يقوم على مبدأ الإلزام والإكراه والإفراط في استخدام السلطة في إطار مؤسسات التنشئة الاجتماعية. ويفتقر المناخ التربوي التسلطي إلى العلاقات الإنسانية الدافئة، وتوجد بين أفراد هذه المؤسسات حواجز نفسية واجتماعية وأخلاقية تدفع الطفل إلى الشعور بالبؤس المفضي إلى ممارسة العنف. على وطفة، (1998).

وركز (دوركايم) على البعد التربوي في التنشئة الاجتماعية، واعتبر أن غاية التربية تكمن في الانتقال بالإنسان من الحالة الفطرية إلى الحالة الاجتماعية، ويقول في هذا الصدد: "...إن بناء الكائن الاجتماعي في الإنسان، يمثل في نهاية المطاف هدف التربية وغايتها. "مارسيل بوستيك، (1981).

وبينت الأبحاث الأنثروبولوجية، أن التنشئة الاجتماعية التي تقوم على التسامح تؤدي إلى إعداد أفراد غير عدوانيين، وهو ما توصلت إليه الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية Margaret, Mead في الدراسة التي أجرتها بجنوب شرق آسيا في غينيا الجديدة، في قبيلتي الآرابش والموندوغومور: فقد درست الباحثة أسلوب التربية السائد في كلا القبيلتين، فوجدت أن الطفل في الآرابيش يعامل برقة وودعابة متناهية جدا، ويحظى بعناية فائقة من قبل الأبوين، فهو يجد دائما من يحمله على كتفيه، والأم ترضع طفلها في كل لحظة يعلن فيها عن حاجته، ويوضع عادة قريبا من ثدي أمه، وتترك له الفرصة في أن يتوقف عن الرضاعة ليبتسم ويرتاح ويعاود من جديد، وهو لا يعنف عندما يخرج فضلاته ولا يكره على السير إلا عندما يحين موعد سيره، ولا يفطم إلا بعد أمد طويل. فيليب برنو وآخرون (1976)، أما الطفل في قبيلة الموندوغومور، فيربى على مبدأ العدوانية

والتسلط حيث يتم فطامه فجأة، ولا يسمح له بالرضاعة من ثدي أمه إلا لفترة قصيرة جدا، والأمهات يرضعن أطفالهن وقوفا ويمنعون أثناء ذلك من تحريك اليدين ويبعدون سرعة إلى السلة الخشبية التي يوضعون فيها. وحياة الطفل في هذه القبيلة مشحونة بالعنف والقهر والعناء، ولحظات الرضاعة هي لحظات بأس وشقاء، وهذا يكمن في أصل العنف لشخصية الموندوغومور. بيار إيريني، (1992).

وفي هذا السياق يقول (سلفادور جيني) أنه عندما يكون هناك اختلاف بين مجتمع وآخر من حيث التسلط والتسامح، أو من حيث النظرة الفلسفية والجمالية، فإن ذلك يعود إلى أنماط التنشئة الاجتماعية السائدة في المجتمعين. هنري مودارس، (1975)، Henri Modras.

ويشير Kimbal young أن كل ثقافة تركز على مجموعة من العناصر التي يمكن توظيفها في بناء الشخصية، أهمها: درجة الشدة المستخدمة في عملية التنشئة الاجتماعية والتعليم، حجم الإحباطات التي يتعرض لها الشخص في سياق نموه، درجة الحب الذي يغدقه الكبار على الصغار، مدى حضور مبدأ العقاب والضبط الأخلاقي، تصور الذات المفروضة على الطفل، الإكراهات الجسدية التي يتعرض لها ...، وغير ذلك من العناصر التي تشكل متغيرات بالغة الأهمية والخصوصية في عملية تشكيل الشخصية ونموها. جون كلود فيلوكس ،(1986)، Jean claud.

والنظرة المتأنية لواقع المجتمعات العربية تبين أن القمع والتسلط والإكراه، أنماط تسود التربية في الأسرة والمدرسة، وهي تجسد إلى حد كبير إعتباط الثقافة التقليدية، ومن أهم مظاهر هذه الثقافة، أنها:

تلجأ إلى العنف بأشكاله المختلفة الرمزية والنفسية والمادية: تشمل أساليب العنف النفسي: الإزدراء والإحتقار والإمتهان والسخرية والتهكم والتبخيس وأحكام الدونية وتوجيه الألفاظ النابية وأساليب التخويف والترويع والحرمان كالزجر والنهي، بينما تشمل أساليب العنف البدني: الضرب بأنواعه المختلفة وبأدواته المتنوعة والحرمان والسجن والمنع، على وطفة، (1998).

-تنعت الطفل بأنه شرير، وتحيطه بعالم من الخرافات والغيبيات والأوهام، فينشأ انفعاليا خرافيا عاجزا عن التصدي للواقع من خلال الحس النقدي والتفكير العقلاني مصطفى حجازي، (1989).

-تقيم حواجز نفسية واجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، وتكرس التفاوت في المعاملة بين الذكر والأنثى، بين الصغير والكبير وهذا الأسلوب يسمح للطرف القوي استعمال سلطته من دون حدود ولا نواهي

-تقدم التعليم عن التربية

ومثل هذه المبادئ التي تركز على التربية العربية، تغذي في الإنسان كل ثقافة البغض والعداوة والتسلط والخوف والقلق والشعور بالضعف والقصور والتبخيس ...وهو ما يشير إليه

(هشام شرابي) في كتابه "مقدمات لدراسة المجتمع العربي"، ويقول: أن أساليب الخويف والترويع والإخضاع التي تعتمدها الثقافة العربية، تؤدي إلى تكوين عقد العار والنقص والإحساس بالقصور والشعور بالبدونية والذنب. هشام شرابي (1991).

وقد إنتقل العنف الاجتماعي إلى المؤسسات التعليمية والتربوية، ووجد فيها الظروف التي تغذيه وتساعده على التفريخ، حتى أصبح يعتقد أن هذه المؤسسات هيئت لإحتضان العنف الاجتماعي وإضفاء عليه الشرعية والوظيفية في الآن الواحد .علي أسعد وطفة (2009).

فالعنف التربوي فرض نفسه في المؤسسات التربوية، حتى أصبحت الحياة في هذه المؤسسات مأساوية للطلاب والتلاميذ والعاملين بها. وقد تعددت أشكال هذا العنف، فإلى جانب العنف البدني، والعنف اللفظي، ظهر العنف الرمزي والعنف السيكولوجي الذي يعتمد على ديناميات التبخيس والإزدراء والإهمال والتحقير والإذلال علي أسعد وطفة، (2008). وفي أي حال من الأحوال فإن ممارسة العنف التربوي أو الخضوع له عملية تحول التلميذ أو الطالب إلى حالة الإغتراب المفظي إلى العنف المدمير. هذا هو حال المؤسسات التعليمية والتربوية اليوم، فقد تبنت عنفا اعتباطيا يرجع بالأساس إلى عبثية مدمرة عميقة الأبعاد تعيشها المجتمعات الإنسانية في هذا العصر.

ثالثا: الفن علاج العنف

يقوم العلاج عن طريق الفن على أساس التنفيس عن اللاشعور من خلال ميكانيزمات الإسقاط في عملية التعبير الفني، ويستخدم هذا الأسلوب في علاج الاضطرابات السلوكية كالعنف والإنطواء والعصاب والذهان، فالنتينا وديع، (2001)، فالعلاج بالفن إبداع للخيال وإشباع للرغبات، وهو تشخيص رمزي للاشعور المتلبس بالدوافع، وإسقاطه يتيح ترجمة الأفكار والمشاعر الداخلية ويتم تجسيدها في الواقع من خلال التعبير الفني. ولهذا هذا يهتم المعالجون بالتعبير الرمزي باعتباره مرآة للدوافع والصراعات الكامنة في اللاشعور، ويركزون على تفسير معانيه والأبعاد اللاشعورية للأشكال المتضمنة فيه وملاحظة العلاقة الوثيقة بينها وبين الشخصية عبلة حنفى عثمان (1999)، مشجعين صاحب النشاط الفني أن يفهم ويعي بنفسه مدلولات هذا التعبير للكشف عن كينونته. عبد المطلب أمين، (ب.ت).

من هذا المنطلق استخدم العلماء الفن لدراسة المشكلات الانفعالية للأطفال، وتعد (مرجريت نومبرج) من أوائل الأمريكيين في مجال العلاج بالفن، فقد اهتمت بالنمو الإنفعالي لدى الطفل وتشجيع تعبيره الإبداعي التلقائي، وتفهم الدوافع اللاشعورية كمصدر أساسي لسلوكه، فالنتيا، (2001)، وقد إتجه البعض إلى استخدام الرسم كوسيلة إسقاطية يكشف من خلالها عن

خصائص شخصية الطفل. في هذا السياق، تقول (عبلة حنفي عثمان) أن الرسم يساعد على تحقيق الإتزان النفسي لتميزه بعاملين:

العامل الأول يكمن من كونه يساعد على التخلص من بعض المكنونات والحاجات المفروضة، مثله في ذلك مثل كل الوسائل التنفسية الأخرى.

أما العامل الثاني فيرجع إلى إعتباره وسيلة متسامية تعمل على إبدال الدوافع والحاجات المرفوضة من هدفها الأصلي وخروجها في صورة رمزية متوازنة مقبولة من الذات والمجتمع في آن واحد. عبلة حنفي عثمان، (1989).

إن فنون الطفل في مختلف أنماطها (شعر، رسم، نحت، غناء، رقص..إلخ) تعد من أفضل الفضاءات التي تعكس أهمية وخصوصية في التوافق مع الذات من جهة ومع الثقافة المجتمعية من جهة أخرى.

وبهذا تمثل الفنون المختلفة ضرورة حتمية، لعلاج الاضطرابات السلوكية من خلال عملية الإسقاط في التعبير الفني، والطفل عندما يحول أفكاره ومشاعره إلى عمل فني، فهو يعبر عن طموحاته ورغباته، ويكشف عما يمتلكه من قدرات ومهارات، فيشعر بالحرية والإستقلال، ويستعيد توازنه الإنفعالي النفسي والإجتماعي، فيصبح مؤهلا لأن يعي بنفسه مدلولات إنتاجه الفني، قادرا على التكيف مع نفسه ومع الثقافة التي يعيش فيها.

رابعا: معاينة ميدانية لمدى فعالية الأنشطة الفنية في علاج العنف لدى الأحداث المنحرفين. نتائج دراسة ميدانية

كثيرا ما يعكس الفن والتراث الشعبي حالات العنف وآثاره، كما يعكس مواقف الضحايا الذين تمت ممارسة العنف ضدهم. ولا عجب أن يكون الفن مولعا بحالات التحدي ومواجهة العنف، وهذا ما تبرزه فنون الرسم والتصوير والنحت.

في هذا الإطار أجريت دراسة ميدانية على عينة من الاحداث المودعين لدى المؤسسات المتخصصة في الحماية لولاية تلمسان، والذين ترتسم في تصرفاتهم مظاهر العنف التالية: العنف نحو الآخرين – العنف نحو الممتلكات العنف نحو الذات.

1 . إشكالية الدراسة:

إن الأحداث المنحرفين يزداد لديهم السلوك العنيف مقارنة مع أقرانهم العاديين، لذلك يميل كثير من هؤلاء إلى ممارسة العنف إن الحدث المنحرف لديه طاقة زائدة وميولا عنيفة أو عدوانية تجاه نفسه ومحيطه (المادي والبشري)، وهذا السلوك الهدام يمكن تقويمه وعلاجه ومن ثم تأهيله ليتحول إلى سلوك إيجابي يستحسنه الضبط الإجتماعي .من هذا المنطلق تمثلت إشكالية

الدراسة في محاولة الإجابة عن السؤال التالي: هل يمكن إستخدام الأنشطة الفنية الفردية والجماعية في علاج السلوك العنيف لدى فئة الأحداث المنحرفين؟

2 . أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة على وجه الخصوص في المساهمة لتقديم معرفة نظرية لطبيعة الأنشطة الفنية وما تشملها من أبعاد تربوية في علاج العنف بصفة عامة، ومعرفة أهمية العلاقة بين التعبير الفني وشخصية الطفل.

3 . حدود الدراسة:

تتحدد الدراسة الحالية ب.:

◊ الموضوع وهو مدى فعالية الأنشطة الفنية في علاج العنف لدى الأحداث المنحرفين.

◊ مجتمع الدراسة ويشمل الأحداث المنحرفين المودعين في المراكز المتخصصة في الحماية لولاية تلمسان

◊ مجالات الأنشطة الفنية: الرسم والتصوير

4 . الطريقة والإجراءات

أ.إجراءات البحث: أهمها:

◊ منهج الدراسة: تم إستخدام المنهج شبه التجريبي

◊ عينة الدراسة: إقتصرت على:

- الأحداث الذكور فقط، البالغين من العمر 10 سنوات إلى 13 سنة

- الأحداث غير المصابين بإيعاقات جسمية أو نفسية أو أي تصور عقلي: " لقد ثبت أن الرسم لدى الطفل يرتبط بقدراته العقلية ومستوى ذكائه، فالطفل المعاق عقليا يرسم إنسانا تبعا لدرجة إعاقته وبطريقة تقارب أداء الطفل العادي الذي هو في مثل نصف عمره الزمني تقريبا. وقد شكلت هذه القاعدة الأساسية التي إنطلقت منها" وجود ألف " في وضع مقياس رسم الرجل لقياس ذكاء الطفل "حنان عبد الحميد، (2007).

- الأحداث العدوانيين طبقا لمقياس السلوك العدواني المستخدم في الدراسة الحالية

ب.أدوات البحث: تم إستخدام:

◊ إستمارة جمع البيانات الخاصة بالأحداث الجانحين

◊ مقياس السلوك العدواني

5 . مجالات الأنشطة الفنية

أ.الأنشطة الفنية

يعد العلاج بالانشطة الفنية واحدا من اهم الطرق المفضلة في العصر الحديث، ويتم وفق خطة علاجية يتم التركيز فيها على إستعادة التوازن الإنفعالي والشخصي والإجتماعي للفرد، وتدعيم صحته النفسية وتشجيعه على التعبير عن مشاعره وأفكاره من خلال إنتاج أشكال فنية، مهما كانت طبيعتها ومستواها الفني. وتحقق الأنشطة الفنية ذلك عن طريق التعبير الفني الحر، فمثل هذه الأساليب تستخدم للتنفيس عن الضغوطات والإحباطات، فينشط الخيال وتحرر الطاقات والمشاعر المكبوتة داخل اللاشعور، فتتحول إلى تعابير فنية ملموسة، يمكن للجميع قراءتها وتلمس دلالتها وأبعادها، ولهذا يمكن إعتبار الأنشطة الفنية وسيلة من الوسائل الإسقاطية والعلاجية والنفسية في آن واحد .عبلة حنفي عثمان، (1999).

ب.خطوات إعداد برنامج الأنشطة الفنية

برامج العلاج بالأنشطة الفنية طورت أساسا بالمؤسسات المتخصصة في الحماية للتكفل بالأحداث الذين يظهر عليم العنف. وأهم الخطوات التي إتبعت في هذه الدراسة، تمثلت في :

◊ الإطلاع على مناهج ومقررات التربية الفنية المعتمدة من قبل وزارة التربية الوطنية

◊ القيام بالدراسة الإستطلاعية للعديد من المراكز المتخصصة في حماية الأحداث للغرب الجزائري بهدف:

- الإطلاع على الأنشطة الثقافية المبرمجة لتأهيل الأحداث فنيا ومهنيا.
- التعرف على الأنشطة الفنية التي يرغب الأحداث في ممارستها.
- تشخيص قدرات الأحداث والتأكد من مدى قابليتهم للتعبير الفني
- تحديد أهداف البرنامج (المعرفية، المهارات، الوجدانية) الكفيلة بعلاج السلوك العدواني لدى فئة الأحداث.
- تحديد الفترة الزمنية المناسبة لتطبيق البرنامج.
- تصميم استبيان بالمجالات والأنشطة المقترحة من قبل الأحداث
- فتح نقاشات مستفيضة مع مجموعة من الأساتذة المهتمين بأدب وفنون الطفل، والأخصائيين النفسيين والإجتماعيين، وتمت من خلالها

■إثراء الأنشطة المقترحة من قبل الأحداث والموضوعات الفنية الكفيلة بعلاج السلوك العدواني لدى فئة الأحداث

■إقرار أهداف البرنامج ومحتواه والأساليب والوسائل والأدوات التي تستخدم

■إجراء تطبيق إستطلاعي لتحديد مدى قابلية الأحداث للبرنامج المقترح في علاج السلوك العدواني.

■عرض نتائج التطبيق الإستطلاعي على الخبراء لمناقشتها وإجراء التعديلات الضرورية

■إقرار البرنامج في صورته النهائية ووضعه حيز التطبيق في ضوء الأهداف المسطرة، والمتطلبات المادية

المتوفرة بالمركز، والحالات النفسيبة للأحداث في خطر معنوي.

ج.محتوى برنامج الانشطة الفنية

يتضمن محتوى برنامج الأنشطة الفنية المقترح لعلاج السلوك العدواني لدى الأحداث المنحرفين ثلاث مجالات وهي:

◊ الرسم والتصوير

وتمت أسس ومحددات روعيت في إختيار هذه المجالات أهمها:

◊ التعرف على خصائص الأحداث وتحديد قدراتهم وقابليتهم، وتشخيص إحتياجاتهم.

◊ توفير المناخ المناسب لتنفيذ البرنامج سواء ما يتعلق بتوفير المتطلبات المادية (الأدوات، التجهيز الكافي، المواد، الوسائل)، أو بتوفير الجو النفسي من جهة أخرى، كتحضير الأحداث نفسيا لأن يكونوا على إستعداد لممارسة الأنشطة الفنية المذكورة.

◊ إشراك الأخصائيين العاملين بمراكز رعاية الأحداث الجانحين في تحديد أساليب العمل والأنشطة الفنية، وتنظيم مكان العمل، وإختيار المواد الفنية وتوفيرها، وتحديد الوسائل التعليمية، وتقديم الحلول للصعوبات والمشكلات التي يستعصي تخطيها، والمحتمل وقوعها.

◊ إختيار الأنشطة الفنية والموضوعات التي تنسجم مع المنهاج المقرر للتربية الفنية من وزارة التربية الوطنية، وتتماشى الإمكانيات المادية للمركز واستعداد الأخصائيين والأحداث، فضلا على أن تكون مسايرة للظروف الزمانية والمكانية الملائمة.

◊ التركيز على إكساب الأحداث المهارات الأساسية في إستخدام المواد والأدوات اللازمة في التطبيق العملي وتنفيذ الأنشطة الفنية المتعلقة بالموضوعات المقررة، مع العمل على رعاية وتنمية المواهب الفنية التي تكشف لدى الأحداث.

◊ أن يوضع تحت تصرف الاحداث الخامات والأساليب التي تكسبهم مزيدا من المهارات :"ففي استخدام كل خامة مهارة خاصة، فإذا ما تنوعت الخامات فإن المهارات تتنوع بتنوعها" خالد أبو شعيرة (2006).

◊ أن يمنح الاحداث حرية التعبير وأن يراعي فيهم الفروق الفردية وخصائص نمائهم مع تقديم الخبرات التي تثرى عقولهم ومشاعرهم وتنمي فيهم الذوق الإنساني والحسي الجمالي، ومن دون التخيير لفئة على حساب أخرى أو التدخل في عمل أي حدث، طالما كان هذا الحديث راضيا عن تعبيره الفني، لأن التدخل من الممكن أن يجعله أشد كبتا. حنان عبد الحميد (2007).

◊ تعزيز وتدعيم العمل الجماعي في تنفيذ النشاطات الفنية، والحرص على إقرار التعامل والتوازن بين مختلف الانشطة الفنية.

◊ إتباع أسلوب الحوار والإستنتاج، أو العرض العملي، والإعتماد على الناحية الإنفعالية والخبرات السابقة لدى الأحداث وهنا لا بد من إعطاء دروس نظرية للأحداث، تسمح لهم بإكتساب المفاهيم الأساسية، وبإثارة دافعيتهم للتعبير الفني، مع إجراء تطبيقات عملية عليه، مباشرة بعد تلقي الدروس.

◊ استثمار كل فضاءات التلقي التشكيلي (الجدارايات أو الجدرانيا، أروقة العرض التشكيلي، المتاحف، الانترنيت، السينما، التلفزيون، الفيديو) إبراهيم الحسين، (2009).

◊ الإلتزام على إدارة وقت الحصة بنجاح.

◊ التقويم الذاتي: أن تكون عملية التقويم مستمرة، وتواكب الحصص من البداية حتى النهاية.

6 . نتائج الدراسة الحالية:

اهم ما خلصت إليه الدراسة الحالية:

- أن الأحداث يقبلون بدافع لا شعوري على ممارسة الرسم وقد سمح هذا النشاط الفني الحر بالتنفيس عن الضغوطات المكبوتة التي كانت ترهق هؤلاء الأحداث.

- أن الأنشطة الفنية ساعدت على تحويل الدوافع العدائية إلى دوافع إبداعية، وكان العمل الجماعي الذي يشرف عليه الأخصائيون بالمركز للأهمية والخصوصية في تعديل للسلوك العنيف.

وهكذا يمكن القول أن للأنشطة بمختلف مجالاتها نماذج حية لحالات للأحداث النفسية والعقلية، وتساعد في النهاية على الإتزان النفسي والراحة الإنفعالية وتقويم السلوك، يتحول من سلوك هدام إلى سلوك محمود يتوافق مع المعايير الإجتماعية.

خلاصة

ما دامت الأنشطة الفنية هي الخطوة المحمودة في العلاج، فلا بد من:

◊ إكتشاف مواهب وقدرات للأطفال، والإلتزام بتطور خيالهم وفضولهم الطبيعي، ورعايتهم بالتربية على تذوق الفن وممارسته بإنتظام.

◊ محاربة كل المضادات التي تطمس تذوق الفن وممارسته لدى الطفل.

◊ توفير مناخ ثقافي مؤسسي ينبذ الإرغام والعنف، وينشد الإبداع .

◊ أن يشكل الإبداع في الفن التربوي وتنميته مشروعا حضاريا لدى المؤسسات التعليمية والتربوية والإجتماعية: وصولا إلى العطاء والإبداع في العلاقات الإجتماعية وفي كل قضايا الحياة.

إن الثقافة الحريصة على مواجهة العنف، هي تلك الثقافة التي تمجد الفن والأنشطة الفنية للجميع، والذي يجعل ما ينعكس في الفن جديرا بالتقدير والتشجيع، هو ذلك الإبداع الجمالي الرفيع الذي توفره التربية الهادفة الأصيلة في بعديها التراثي والحضاري.

المحتوى	الاهداف	الأساليب والوسائل والأنشطة	عدد الحصص المقترحة
المعلومات :	يتوقع من الحدث بعد دراسة الرسم والتصوير وإجراء تطبيقت عملية أن :- تميز بين أنواع الخطوط ويصنفها	-عرض نماذج لأنواع الخطوط	
-عرض المفاهيم الأساسية	يتعرف إلى أنواع وأسماء وخصائص الألوان والخامات والأدوات	-الإستعانة بالسبورة في توضيح المفاهيم	أربعة حصص في الشهر:
-تعريف معنى الخط وأنواعه	يستفيد من فرص التكوين والتدريب والتجريب في مجال التعبير الفني		المدة الزمنية لكل حصة:
-الخطوط في الطبيعة (الجبال، المباني، الأثاث، الأشجار...إلخ)	-يكتسب مهارات تساعده على استخدام المواد اللونية		ساعة ونصف
-مصادر الزخرفة : الحروف العربية والأرقام الحسابية والأشكال الهندسية بإعتبارها مصادر زخرفية	-يستخدم الكتابة والحروف العربية بإعتبارها مصدرا زخرفيا	-عرض نماذج للمواد اللونية التي يستخدمها الأحداث	-المجموع: 12 حصة تعادل 18 ساعة
-أسماء وانواع خصائص المواد اللونية (الألوان الشمعية، المائية ،الطباشير، باستيل ...)	-يزخرف بأشكال الهندسية	-عرض عملي أمام الاحداث في كيفية إستخدام المواد اللونية-عرض عملي أمام الاحداث في موضوع التدرج اللوني	موزعة على فترة زمنية تقدر بثلاثة أشهر
-معنى التدرج اللوني (الفاتح والغامق)	-يتعرف على التدرج اللوني	-الخروج إلى الطبيعة لمشاهدة الخكوط وتتبعها عرض صور لنماذج زخرفية	
-الملامس الوهمية وتدرجها	-يستخدم مواد لونية مختلفة ليحصل على ملامس لونية	-ملمسة بالحروف العربية	
-الإختلاف بين الألوان	-يرسم تعبيرات حرة مستوحاة من الطبيعة والخيال ويلونها	-الإفادة من أعمال الأحداث في تزيين الهياكل الإجتماعية والثقافية للمركز	
المهارات:			
-رسم خطوط وأشكال بإستخدام قلم الرصاص	-يعبر عن إنفعالاته ومشاعره وأفكاره دون أي يضغط	-التأكد على : *عامل الإثارة والتشويق أثناء عرض الموضوعات	
-رسم خطوط بإستخدام مواد لونية	-يشعر بقوته عن التعبير الفني الحر	* الإنضباط التام	
-زخرفة مساحات محددة بالحروف والأرقام العربية	-يقدر العمل اليدوي والمهن الفنية الحرة	*المشاركة الجماعية للأحداث وتكثيف التعاون فيما بينهم	

-التعبير بالرسم عن موضوعات مختارة من البيئة وتلوينها	-يسترجع عافيته ويتحرر من الضغوطات والدوافع الهدامة إلى كانت تجره إلى ممارسة السلوك العدواني المفضي إلى التشرد والجنوح	* النظافة العامة الأدوات المستخدمة: أوراق الرسم، الأوان المائية، الطباشير، أقلام اللباد (الفلوماستر)، قلم الرصاص، الممحاة، فرش	
التعبير بالرسم عن موضوعات مختارة تسمى بالخيال عند الحديث وتلوينها -تكرار الأشكال الهندسية في مساحات محددة -إستخدام لون واحد في التدرج من الفاتح إلى الغامق إستخدام الكتابة العربية بإعتبارها مصدرا زخرفيا -إحداث درجات لونية تتراوح بين الفاتح والغامق إستخدام الألوان والخطوط، وإستخدام ملامس وهمية كتفاوتة -رسم موضوعات من إهتمامات الاحداث مستوحاة من البيئة والخيال الإتجاهات : -المحافظة على النظافة والضبط -الشعور بالأمان والصداقة -تذوق جمال الخط العربي والإعتزاز به -تذوق القيم الجمالية في البيئة -تقدير عمل الآخرين، وتعزيز روح التعاون والتساند -التقويم الذاتي -بناء الشخصية المتوازنة والمتكاملة	-تبرز طاقاته في تنمية العلاقات بأفراد المجتمع وإحترام حقوقهم يشعر بروح المسؤولية وبأهمية مكانته في المجتمع ودوره الواعد مستقبلا -تبرز شخصيته المتكاملة وتستمر في النمو الطبيعي، فينمو لديه الذوق العام		

6 . نتائج الدراسة الحالية:

اهم ما خلصت إليه الدراسة الحالية:

- أن الأحداث يقبلون بدافع لا شعوري على ممارسة الرسم وقد سمح هذا النشاط الفني الحر بالتنفيس عن الضغوطات المكبوتة التي كانت ترهق هؤلاء الأحداث.
- أن الأنشطة الفنية ساعدت على تحويل الدوافع العدائية إلى دوافع إبداعية، وكان العمل الجماعي الذي يشرف عليه الأخصائيون بالمركز للأهمية والخصوصية في تعديل للسلوك العنيف.

وهكذا يمكن القول أن للأنشطة بمختلف مجالاتها نماذج حية لحالات للأحداث النفسية والعقلية، وتساعد في النهاية على الإتزان النفسي والراحة الإنفعالية وتقويم السلوك، يتحول من سلوك هدام إلى سلوك محمود يتوافق مع المعايير الإجتماعية.

خلاصة

ما دامت الأنشطة الفنية هي الخطوة المحمودة في العلاج، فلا بد من:

◊ إكتشاف مواهب وقدرات للأطفال، والإلتزام بتطور خيالهم وفضولهم الطبيعي، ورعايتهم بالتربية على تذوق الفن وممارسته بإنتظام.

◊ محاربة كل المضادات التي تطمس تذوق الفن وممارسته لدى الطفل.

◊ توفير مناخ ثقافي مؤسسي ينبذ الإرغام والعنف، وينشد الإبداع .

◊ أن يشكل الإبداع في الفن التربوي وتنميته مشروعا حضاريا لدى المؤسسات التعليمية والتربوية والإجتماعية: وصولا إلى العطاء والإبداع في العلاقات الإجتماعية وفي كل قضايا الحياة.

إن الثقافة الحريصة على مواجهة العنف، هي تلك الثقافة التي تمجد الفن والأنشطة الفنية للجميع، والذي يجعل ما ينعكس في الفن جديرا بالتقدير والتشجيع، هو ذلك الإبداع الجمالي الرفيع الذي توفره التربية الهادفة الأصيلة في بعديها التراثي والحضاري.

مراجع الدراسة

المراجع باللغة العربية

1. المعجم الوسيط (1972) مجمع اللغة العربية، القاهرة، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ص 631
2. إبراهيم الحسين (ب.ت) التربية على الفن، حفر في آليات التلقي التشكيلي والجمالي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص.ص 147-156
3. إيريك فروم (1960) المجتمع السليم، ترجمة محمود محمود، سلسلة الفكر المعاصر الانجلو المصرية، ص 244
4. باربارا ويتمر (2007) الانماط الثقافية للعنف، ترجمة ممدوح يوسف عمران، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 11

5. بيار إيربي (1992) إنثنولوجيا التربية، ترجمة عدنان الامين، بيروت، معهد الإنماء العربي، ص 96
6. جميل صليبا (1994) المعجم الفلسفي، الطبعة الأولى، الشركة العالمية للكتاب، ص 670
7. حسن إبراهيم أحمد (2009) العنف من الطبيعة إلى الثقافة، دراسة أفقية، الطبعة الأولى، سوريا، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، ص.ص 12-211
8. حسن توفيق إبراهيم (1992) ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ؛ بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص.ص 42-43
9. حليم بركات (2006) الإغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ص.51.ص .ص 143-146
10. حنان عبد الحميد العناني (2007) الفن التشكيلي وسيكولوجية رسوم الأطفال، عمان، دار الفكر، ص.56
11. خالد أبو شعير (2006) المدخل إلى التربية الفنية، عمان، دار حرير، ص.136
12. عبد الله إبراهيم (2001) صورة الآخر في المخيال الإسلامي من خلال القرون الوسطى، الطبعة الأولى، المركز الثقافي، ص.33
13. عبد المطلب أمين القريطي (ب.ت) الدور العلاجي للنشاط غير الأكاديمي في برامج المعوقين، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ص.340
14. عبلة حنفي عثمان (1989) فنون أطفالنا، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ص 83
15. عبلة حنفي عثمان (1999) الفن في عيون بريئة، القاهرة، المجلس القومي لثقافة الطفل، ص.ص.18-19
16. على أسعد وطفة (2008) الطاقة التدميرية للعنف السيكولوجي في التربية، المعرفة، سوريا، وزارة الثقافة، العدد 534 ص.20
17. علي أسعد وطفة (2009) من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي، قراءة في الوظيفة البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية، مجلة شؤون إجتماعية، الإمارات العربية المتحدة، السنة 26، العدد 104، ص 45-102
18. علي وطفة (1998) المظاهر الإغترابية في الشخصية العربية: بحث في إشكالية القمع التربوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد السابع والعشرون، العدد الثاني، ص.ص 241-280
19. فالينتينا وديع سلامة الصايغ (2001) فعالية الانشطة الفنية في تخفيض حدة السلوك العدواني لدى الأطفال الصم في مرحلة الطفولة المتأخرة، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ص.ص 58-71
20. فيليب برنو وآخرون (1976) المجتمع والعنف، ترجمة إلياس زحلاوي، دمشق، وزارة الثقافة، ص 76
21. مارسيل بوستيك (1981) العلاقة التربوية، ترجمة محمد بشير النحاس، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص 170
22. مصطفى حجازي (1989) التخلف الإجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور، الطبعة الخامسة، بيروت، معهد الإنماء العربي، ص 82
23. هشام شرابي (1991) مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الطبعة الرابعة، بيروت، دار الطليعة، ص.ص 31-83

المراجع باللغة الفرنسية:

1. Henri Modras, (1975) Elément de la sociologie , Paris , Armand colin, P 86,
2. Jean claud Filloux, (1986) la personnalité , Paris, Puf, P.75.
3. Paul Ricoeur, (1955) Histoire et vérité , Paris, le seuil, P.227